إنجازات المشروع القرآني في اليمن[1]

بقلم / حمود عبدالله الأهنومي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

يُعدّ المشروع القرآني في اليمن من أبرز التجارب التحويلية في الواقع الإسلامي المعاصر؛ إذ لم يتعامل مع القرآن بوصفه نصًّا تعبديًا معزولًا، بل بكونه مرجعية هادية للتشخيص والحل وتحديد الموقف وبناء الإنسان والمجتمع. وقد جاءت انطلاقته في سياقٍ تاريخي بالغ التعقيد، تميّز باختلالاتٍ عميقة في الوعي والهوية والسيادة، وبمناخٍ إقليمي ودولي عمل على تفريغ الدين من محتواه الحضاري، ومحاصرة أي خطابٍ مقاومٍ واعٍ.

يهدف هذا البحث إلى تتبّع إنجازات المشروع القرآني في اليمن عبر مسيرته التأسيسية والتحويلية، ورصد فاعليته في مجالات السيادة والوعي والتربية والثقافة والاجتماع والاقتصاد والعسكر، مع التمييز بين الإنجازات التي تحقَّقَت بدرجةٍ كبيرةٍ، وتلك التي ما تزال مُعاقَة بالحرب والحصار. كما يتناول البحث مستقبل المشروع عبر قراءة استشرافية توازن بين مؤشرات القوة الداخلية ومخاطر التحديات المؤسسية والاجتماعية، بما يتيح رؤية أكثر موضوعية لمسار المشروع ومآلاته المحتملة.

أولا: سبب اختيار موضوع البحث

١-الأهمية العلمية والراهنة لتجربةٍ تحوّلت من مشروعٍ تربوي/ثقافي إلى حالةٍ مجتمعية ودولةٍ ومؤسسات، مع استمرار الصراع الخارجي والضغط المركّب.

٢-الحاجة إلى قراءة تحليلية تجمع بين عرض الإنجازات وتقويم محددات الاستمرار والتحديات الداخلية، بدل الاقتصار على السرد أو الانطباع.

ثانيا: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما طبيعة إنجازات المشروع القرآني في اليمن، وما مدى فاعليتها في تحويل القرآن إلى "منهج قرار" على مستوى الوعي والموقف والدولة، وما أبرز محددات استمراره ومخاطر تعثره مستقبلًا في ضوء التحديات الداخلية؟

ويتفرع عنه **أسئلة فرعية** مختصرة:

١-ما أبرز ملامح واقع اليمن والعالم الإسلامي قبل انطلاقة المشروع؟

٢-ما أهم إنجازات التأسيس (الوعي–المنهجية–التربية–الموقف) حتى استشهاد الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه-؟

٣-كيف أسهمت قيادة السيد القائد العلم عبد الملك الحوثي –يحفظه الله- في ترسيخ الفاعلية الواسعة للمشروع؟

٤-ما مجالات الإنجاز الكبرى (استراتيجية/سيادية/تربوية/ثقافية/اجتماعية/عسكرية/اقتصادية)؟

٥-ما السيناريوهات الأرجح لمستقبل المشروع في ظل مفارقة "مشروع قوي ودولة ليست قوية حتى الآن"؟

---

[1] ورقة عمل بحثية قدمت في ندوة علمية أقيمت ضمن فعاليات مهرجان الشهيد القائد في الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٤٧هـ.

ثالثا: أهمية البحث

أهمية علمية: يقدم نموذجًا لدراسة مشروع ديني-حضاري بوصفه تجربة تغيير ثقافي واجتماعي وسياسي، ويُسهم في إثراء أدبيات الحركات الإسلامية النهضوية المعاصرة.

أهمية معرفية: يوضح كيف تُبنى منظومة مفاهيم (العدو/الهوية/المسؤولية/النهضة) وكيف تتحول إلى سلوك عام وسياسات.

أهمية واقعية: يساعد في فهم نقاط القوة ومناطق الخطر، خصوصًا التحديات الداخلية المتعلقة بالمؤسسية والعدالة ومكافحة الفساد والاقتصاد.

رابعا: أهداف البحث

١-تشخيص الواقع اليمني والإسلامي الذي سبق انطلاقة المشروع وتحديد طبيعة الأزمة البنيوية.

٢-تحليل مرحلة التأسيس حتى استشهاد الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي –رضوان الله عليه- بوصفها إنجازًا منهجيًا في الوعي والتربية والموقف.

٣-إبراز دور القيادة التحويلية للسيد القائد العلم عبد الملك في نقل المشروع إلى فاعلية واسعة وتجذّر مجتمعي.

٤-تصنيف الإنجازات في حقولها الرئيسة وبيان الترابط بينها (الوعي - الموقف - المنجز).

٥-تقديم قراءة استشرافية لمستقبل المشروع عبر سيناريوهات التحديات الداخلية ومحددات الانتصار.

خامسا: منهجية البحث

يعتمد البحث على:

١-**المنهج الوصفي التحليلي:** لوصف الواقع وتحليل التحولات والإنجازات ومحدداتها.

٢-**المنهج التاريخي:** لتتبع المراحل التاريخية للمشروع (قبل الانطلاقة، إنجاز التأسيس، إنجاز التحول، إدارة الدولة).

سادسا: مكونات البحث

يتكوّن البحث من تمهيد وستة محاور وخاتمة:

-تمهيد: اليمن والعالم الإسلامي قبل انطلاقة المشروع: التشخيص الدقيق.

-المحور الأول: ظروف الانطلاقة والسياق الدولي والإقليمي والداخلي.

-المحور الثاني: مسيرة المشروع حتى استشهاد الشهيد القائد: إنجاز التأسيس وبناء المنهج.

-المحور الثالث: إنجاز القيادة التحويلية للسيد القائد عبد الملك وترسيخ الفاعلية الواسعة.

-المحور الرابع: فاعلية المشروع وأسباب البقاء والاستمرار رغم الاستهداف.

-المحور الخامس: إنجازات المشروع على المستويات المحلية والإسلامية والإنسانية (محاور الإنجاز).

-المحور السادس: مستقبل المشروع: التحديات الداخلية والسيناريوهات ومحددات الانتصار.

-ثم الخاتمة والنتائج والتوصيات.

تمهيد: اليمن والعالم الإسلامي قبل انطلاقة المشروع: التشخيص الدقيق

كانت اليمن، كما معظم بلدان العالم الإسلامي، تعيش قبل انطلاقة المشروع القرآني حالةً مركّبة من الأزمات البنيوية العميقة، شملت الدين والسياسة والثقافة والمجتمع، ولم تكن مجرّد ضعفٍ عابر أو خللٍ جزئي، بل أزمة وعي واختلال بوصلة وضبابية موقف وتسلسل انحرافات قديمة حديثة.

فعلى المستوى اليمني، ساد الضياع الثقافي، والتخلف الاقتصادي والاجتماعي، وهيمنة النخب التقليدية، والتشرذم القبلي، والتبعية للخارج، مع تآكل معنى الدولة والسيادة، وتحول القرار الوطني إلى ساحة نفوذ للقوى الخارجية. وفي ظل هذا الواقع، تعرّضت الهوية القرآنية والإسلامية للاختراق الثقافي، وانتشرت التبعية الفكرية والإعلامية للغرب، بما أضعف ثقة المجتمع بذاته وبقدرته على الفعل والتغيير.

وعلى مستوى العالم الإسلامي، هيمنت حالة من الضعف والانقسام، وخضعت معظم الأنظمة لإرادة القوى الاستعمارية، وأدت أدوارًا وظيفية ضمن مشروع الهيمنة الأمريكية–الصهيونية، في مقابل صعود تيارات دينية متطرفة من جهة ومخترقة من دول الاستكبار من جهة أخرى، وانحسار المشاريع الأصيلة من جهة أخرى، وشعوبٍ محبطة أو حائرة أو متحركة بلا مشروعٍ مستمر قائم على رؤية صحيحة.

وفي الجوهر، كانت الأمة تعيش حالة اغتراب قرآني؛ إذ اقتصر حضور القرآن على الجانب الشكلي والطقوسي، وغابت منهجيته عن الواقع، وعن صناعة الموقف السياسي والحضاري، وعن تحديد طبيعة الصراع والعدو والواجب. وتحوَّل الدينُ إلى طقوس منفصلة عن قضايا الأمة، مع سيطرة خطاب وعظي مجتزأ لا يواجه الطغيان ولا يحمّل الأمة مسؤوليتها.

سياسيًا، خضع القرار في معظم البلدان الإسلامية، ومنها اليمن، للإملاءات الخارجية، وغُيِّب مفهوم السيادة والاستقلال، وتحولت الدولة إلى وظيفة عند الخارج، تُدار مؤسساتها بلا إرادة مستقلة في الاقتصاد أو الأمن أو الثقافة. وثقافيًا، سادت ثقافة الهزيمة والانهزام النفسي، وشُوِّهت مفاهيم مركزية كالجهاد والعدو والولاء، وروِّجت فكرة "استحالة المواجهة" وعبثية المقاومة، بما أفضى إلى تراجع الثقة بالإسلام كحل حضاري شامل، وحصره في الشعائر الفردية، وتقديمه – كما عبّر الشهيد القائد – بصورة مهزوزة لا تمثل حلًا في نظر الناس.

واجتماعيًا، تجلَّى الواقع في تفكك اجتماعي، وانتشار العصبيات الطائفية والمناطقية، وضعف الإحساس بالمسؤولية العامة، وتراجع قيم التضحية والتكافل، والانشغال بالجزئيات على حساب قضايا الأمة الكبرى، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، حيث ساد الصمت أو العجز عن الفعل، ما عكس شللًا في الموقف الجمعي.

وتشير كلمات الشهيد القائد ومحاضرات السيد القائد إلى أن هذا الواقع لم يكن مجرد ضعف، بل انحرافًا في البوصلة؛ إذ لم تعد الأمة ترى نفسها طرفًا مستهدفًا في الصراع، ولا تعي طبيعة ما يُدبَّر لها.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: «كان الغالب على الشعوب هو إما السكوت أو الحيرة، أو التحرك المحدود، ولكن ليس في إطارٍ مشروع عملي مستمر وقائم على أساس رؤية صحيحة»[٢]، ويقول أيضًا: « كان الواقع العام هو التجاهل واللا مبالاة، والغفلة الكبيرة عما يحاك لهذه الأمة من مؤامرات وما يدبّر لها من مكائد، وما يعصف بها من أخطار، وغلب على معظم أبناء الأمة الانهماكُ والغرق في أشياء محدودة، وأشياء جزئية وأشياء تافهة بعيداً عن الهم العام»[٣].

ويؤكد الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي هذا التشخيص بقوله: « عندما فرطوا [أي المسلمون] قدموا الإسلام بطريقة غير مقبولة، وبشكل مهزوز، ضربوا جاذبيته في أعين الناس، وفي قلوب العالمين، فأصبح لا يشد أحداً إليه. عندما فرطوا هم فرطوا في البشرية كلها، وأصبح معظم سكان الأرض لا يدينون بهذا

[٢] كلمة السيد القائد لعام ١٤٣٤هـ، في تأبين الشهيد القائد، ص١٦.

[٣] المرجع السابق، ص٥.

الدين، أصبحوا هم - عندما فرطوا - أمة في هذا الزمن، هذا الزمن الذي توفرت فيه كل عوامل القوة، وأخرجت الأرض خيراتها من باطنها وظاهرها بشكل ربما لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا العالم بكله، يظهرون أمة مستضعفة، أمة جاهلة، أمة مشتتة، أمة لا تستطيع أن تفك عن نفسها ربق الذلة»[٤].

وبناءً على هذا التشخيص، يمكن تلخيص ملامح الأزمة الحضارية في خمسة عناوين كبرى: غياب الوعي القرآني، اختلال المفاهيم، هيمنة الخارج، تفكيك الإرادة، وشلل المسؤولية تجاه قضايا الأمة، وأولها قضية فلسطين. وهي أزمة لم تنشأ من نقص الإمكانات، بل من خلل عميق في الفهم عن الله والقرآن وطبيعة الصراع، وهو ما يفسّر – في منطق المشروع القرآني – ضرورة الانطلاق القرآني بوصفه خيارَ إنقاذٍ حضاري شامل. ويشير السيد القائد في ذكرى الشهيد القائد لعام ١٤٣٥هـ (ص٢–٣) إلى أن الأمة كانت «تُستهدَف في كل شيء... والسائد فيها هو التخاذل والتراجع والصمت والاستسلام والروح الانهزامية».

المحور الأول: الظروف التي انطلق فيها المشروع

انطلق المشروع القرآني في اليمن في لحظة تاريخية بالغة التعقيد والخطورة، اتسمت بتداخل الضغوط الدولية والإقليمية مع أزمات داخلية عميقة، وبسعي منظّم لإعادة تشكيل وعي الأمة بالشكل الذي ينسجم مع الاتجاهات الاستعمارية الحديثة، وإفراغ الدين مما بقي من محتواه الحضاري والجهادي، وتحويله إلى طقوس معزولة عن الواقع. لقد انطلق في بيئة قاسية وعدائية جعلت من الكلمة الصادقة والموقف الواعي فعلًا عالي الكلفة، وعالي القيمة في آن واحد.

فعلى المستوى الدولي والإقليمي، جاءت انطلاقة المشروع في ظل هيمنة أمريكية شاملة أعقبت نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، حيث انفردت الولايات المتحدة بقيادة النظام العالمي، ووسّعت نفوذها السياسي والعسكري والثقافي في المنطقة. وترافق ذلك مع تصاعد المشروع الصهيوني عالميًا، وتسارع وتيرة التطبيع السياسي والثقافي، وتوسّع أدوات التفكيك الناعم، بما استهدف هوية المنطقة، وموقفها من قضاياها المركزية.

وشكّلت ذريعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م محطة مفصلية فيما يمكن تسميته بـ "اللحظة الكاشفة"، حيث دخلت المنطقة – ومعها العالم الإسلامي – في مناخ ما أسموه "الحرب على الإرهاب"، الذي استُخدم غطاءً لقمع ووأد أي خطاب إسلامي واعٍ، وتجريم المقاومة، وتخويف العلماء والدعاة، وتجفيف منابع التربية الإيمانية والجهادية في المساجد والمناهج، في مرحلة كان يُراد فيها للأمة أن تصمت لا أن تفهم، وأن تنكفئ لا أن تتحرك، لتتحقق أهدافهم في الهيمنة على عالمنا الإسلامي، والتحكم بمصيره، بدون أتعاب ولا أذى.

وفي هذا السياق، شهد الفضاء العام اتساعًا لدوائر التضليل والصمت، وتضييقًا منهجيًا على الخطاب المقاوم، مع انحراف الأولويات في الوعي العام بعيدًا عن "الهمّ العام" وقضايا الأمة المصيرية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. وكانت الرسالة الضمنية للمرحلة أن أي وعي، أو موقف، أو كلمة صريحة تمثّل خطرًا على منظومة الهيمنة، وفي مناخ إعلامي كان يجري على قدم وساق لتشويه صورة حزب الله والحركات الفلسطينية الجهادية بعد أن حققت إنجازات مهمة في عام ١٩٩٦هـ، وعام ٢٠٠٠م.

أما على المستوى الداخلي في اليمن، فقد انطلق المشروع في ظل تغييب شبه كامل للهوية الإيمانية اليمنية، وتهميش متعمّد للقرآن في التعليم والإعلام، وصناعة جيل منفصل عن قضاياه الكبرى، يعاني من فراغ روحي وأخلاقي نتيجة تراجع تأثير القيم القرآنية في الحياة العامة. وتزامن ذلك مع استبداد سياسي وهيمنة نظام كان يسير في فلك المصالح الخارجية على حساب مصالح الشعب وهويته، ومع عدوان ثقافي وإعلامي يسعى إلى طمس الخصوصية الإسلامية لليمن، وفرض أنماط فكرية وسلوكية مستوردة.

---

[٤] سورة آل عمران - الدرس الرابع، ص٧.

كما واجه اليمن تحديات اقتصادية حادة، من فقر وبطالة وتخلف، فضلًا عن كونه ساحة مفتوحة للصراعات الإقليمية، ما عمّق الإحساس بالأزمة، وكشف هشاشة الأوضاع القائمة، وعدم أهليتها لمعالجة الخلل البنيوي في الوعي والهوية والقرار.

في ظل هذه الظروف المركّبة، قدّم الشهيد القائد فكرة أساسية، وهي أن "المرحلة لا تسمح بالتردّد"، وأن قيمة الكلمة والعمل تتضاعف في اللحظات المفصلية، حيث تصبح المسؤولية تكليفًا لا خيارًا. ويؤكد الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي أن هذه المرحلة كانت من أشد المراحل حاجة إلى تربية إسلامية واعية، فيقول: «في هذه المرحلة الأمة أحوج ما تكون إلى تربية إسلامية، تربية جهادية»[٥].

وكان – رضوان الله عليه – يعي أهمية الكلمة وخطورتها في مثل هذه اللحظات، وقد عبر عن ذلك بقوله: «الكلمات في مراحل معينة هي من تفجر أوضاعا، وهي من تهز عروش ظالمين، هي من تبني أمة»[٦].

وبذلك، انطلق المشروع القرآني كـ حاجة تاريخية ملحّة، بعدما ثبت أن المحاولات الإصلاحية الجزئية، أو التي لا تجعل من القرآن الكريم مصدرا أساسيا، لم تعد كافية، وأن المطلوب هو مشروع تغييري جذري يعيد تعريف الدين بوصفه مشروع حياة، ويعيد تعريف العدو، والذات، والواجب، ويستعيد القرآن إلى موقعه الطبيعي كقائد للفعل المبادر، ومحرّك للتغيير، ومرجعية للموقف في مواجهة الهيمنة والعدوان.

المحور الثاني: مسيرة المشروع القرآني من انطلاقته إلى استشهاد الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي: إنجاز التأسيس وبناء المنهج

تمثّل المرحلة الممتدة من انطلاقة المشروع القرآني حتى استشهاد الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي مرحلة التأسيس الجوهري في مسيرة المشروع، حيث جرى خلالها بناء بنيته المفهومية والروحية والإنسانية، وتكوين نواته الصلبة، وترسيخ معادلة متلازمة قوامها: الوعي –المنهج - التربية – الموقف. ولم تكن هذه المرحلة نشاطًا دعويًا عابرًا أو حركة احتجاجية ظرفية، بل مسارًا واعيًا لإعادة بناء الإنسان والحياة، ومعالجة مشكلات الواقع من داخل القرآن الكريم.

يذكر السيد القائد عبدالملك الحوثي بأن التحول الجوهري الذي أحدثه الشهيد القائد تمثّل في نقل القرآن من مرجعية ساكنة تقتصر على التلاوة والاحتجاج اللفظي، إلى قيادة عملية للواقع؛ حيث يقول: «قدَّم المشروع القرآني في واقع عملي وليس تنظيريًا... أنزله إلى الساحة وحرّكه في الميدان»[٧]. وبهذا المعنى، لا يُفهم "تقديم المشروع القرآني" بوصفه عرضًا فكريًا، بل تأسيسًا لمسار تاريخي جديد، يصبح فيه القرآن فاعلًا في تغيير الواقع، وبناء الإنسان، وتحديد الموقف.

وقد تشكّلت مرحلة إنجاز التأسيس عبر أربع دوائر متداخلة شكّلت الهيكل الداخلي للمشروع.

أولها دائرة الوعي: حيث انطلقت المسيرة من إعادة قراءة الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي عبر القرآن الكريم، وليس عبر التحليلات المجردة، والتنظيرات المتعددة، بل من خلال تلازم النص والحدث في قراءة تشخيصية وتقييمية مرفقة بالحل. ويعبّر السيد عبد الملك الحوثي عن هذه المنهجية بقوله عن الشهيد القائد: إنه «قرأ الواقع قراءة موضوعية، ثم دخل إلى القرآن بهذا الواقع، ودخل إلى الواقع بالقرآن، فكانت الرؤية تشخيصًا وتقييمًا وحلًا»[٨].

[٥] ملزمة: في ظلال دعاء مكارم الأخلاق – الدرس الثاني، ص٤.
[٦] الهوية الإيمانية، ص٣٠.
[٧] كلمة السيد القائد عبدالملك الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد القائد لعام ١٤٣٥هـ، ص٩.
[٨] كلمة السيد القائد عبدالملك الحوثي في تأبين الشهيد القائد لعام ١٤٣٤هـ، ص١١.

وثانيها دائرة تقديم المنهجية: حيث أسس الشهيد القائد طريقة قرآنية للتشخيص والحكم وتحديد الموقف؛ فقد كان - بحسب وصف السيد القائد - «يقدم النص القرآني ثم ينطلق من جوهره ودلالاته وهديه إلى الواقع... فيقيّم الواقع ويحدّد الموقف اللازم»[٩].

وقد عبّرت الأدبيات اللاحقة عن هذه القاعدة بصيغة "عين على القرآن وعين على الأحداث"، بما يجعل القرآن عقلًا تاريخيًا حيًا، لا نصًا جامدًا.

وثالثها دائرة التربية: حيث ركّز المشروع على بناء الإنسان بوصفه نقطة الانطلاق لأي تغيير حقيقي؛ فالتغيير – في منطق المشروع – لا يبدأ من السلطة، بل من الإنسان: من معرفته لله، والخشية منه، والثقة به، والتوكل عليه، والشعور بالمسؤولية، والاستعداد للتضحية، ونقل الدين من مستوى الشعار إلى مستوى منهج الحياة. ويؤكد الشهيد القائد هذا البعد بقوله: «التربية الجهادية هي التي تصنع الروح الزاكية، وتجعل الإنسان عنصر خير وفاعلية»[١٠].

ورابعها: دائرة الموقف، بإعلان البراءة من أعداء الأمة، وكسر حاجز الخوف، ورفض حالة الصمت والاستسلام. وجاءت "الصرخة" ومقاطعة البضائع الأمريكية والصهيونية، في هذا السياق بوصفها أدنى درجات الموقف المعرفي والأخلاقي والسياسي المؤسس وليس مجرد هتاف استعراض.

ومن الناحية التاريخية، بدأت المسيرة في بداية القرن الحالي كمشروع ثقافي قرآني نهضوي مقاوم، ركّز على التوعية ونبذ التبعية للغرب عبر الدروس والأنشطة الثقافية. ومع اتساع تأثيره، دخل المشروع في مواجهة مباشرة مع نظام علي عبد الله صالح، خصوصًا بعد رفع شعارات البراءة من أمريكا وإسرائيل، التي أزعجت أمريكا وأوعزت إلى عملائها في السلطة باستهداف المشروع مباشرة.

وانتهت هذه المرحلة باستشهاد الشهيد القائد في العام نفسه، في محاولة لإجهاض المشروع في مهده، غير أن النتيجة جاءت معاكسة؛ إذ لم يُنهِ الاستشهاد المشروع، بل أطلقه بقوة أكبر. ويؤكد السيد عبد الملك أن استهداف الشهيد كان استهدافًا للمشروع ذاته: «ما نقموا عليه وما استهدفوه لأجله هو هذا المشروع... لأنهم أرادوا للأمة الصمت والاستسلام والعجز»[١١].

وعليه، يمكن القول: **إن أول إنجاز تحقق هو إنجاز إخراج المشروع القرآني من حيز الفكرة إلى حيز الوجود، وإن مرحلة ما قبل الاستشهاد أنجزت التأسيس الفكري والروحي والإنساني للمشروع القرآني، ووضعت لبناته الصلبة**، وأثبتت أن المشروع لم يكن مرتبطًا بشخص، بل بمنهج قرآني حيّ، قادر على الاستمرار والتجدد في مختلف الظروف.

وهذا المعنى أشار إليه الشهيد القائد نفسه؛ حيث ذكر أن السير على "طريقة حق" والثبات عليها نعمة كبرى، لا ورطة ولا مهلكة، حتى وإن بدت شاقة أو محفوفة بالمخاطر. وذكر أن الإمام زين العابدين وأئمة أهل البيت وأولياء الله ينظرون إلى الاستقامة على الحق بوصفها توفيقًا إلهيًا يستوجب الشكر والثبات، لا القلق والبحث عن مخارج. واستشهد بموقف نبي الله موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾، ليؤكد أن الانحياز للحق حتى وإن كلف الإنسان فهو عين النعمة[١٢].

---

[٩] كلمة السيد القائد عبدالملك الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد القائد لعام ١٤٣٥هـ، ص١٠.
[١٠] ملزمة: في ظلال دعاء مكارم الأخلاق – الدرس الثاني، ص٢٥.
[١١] كلمة الذكرى السنوية ١٤٣٥هـ، ص٧.
[١٢] ملزمة: في ظلال دعاء مكارم الأخلاق – الدرس الثاني، ص٣١- ٣٢.

إن وجود مشروع لطريقة حق - يتقرب الإنسان بالانخراط فيه إلى الله ليكون ضمن أمة - يعتَبَر من أعظم الإنجازات التي حقّقها هذا المشروع القرآني منذ أول تحرك الشهيد القائد – رضوان الله عليه -؛ حيث أخرج الناس من دائرة السخط الإلهي إلى دائرة الرضا الإلهي والتوفيق والعون.

ولعظمة هذا الإنجاز كان استهداف رائده الشهيد القائد جريمة مضاعفة وكبيرة، وإذا كان هذا المشروع يريد للأمة أن تتحرك وتعي وتقاوم، فإن المنظومة التي حاولت وأده هي منظومة تريد للأمة الخنوع والصمت والشلل. وبهذا، فإن استهداف الشهيد القائد كان بمثابة استهدافٍ للوعي، وللموقف، ولإمكانية النهوض نفسها؛ يقول السيد القائد يحفظه الله: "فعندما استُهدِف استُهدِف فعلاً، استهدِف في القضية نفسها التي تحرك من أجلها، ما نقموا عليه وما ساءهم منه وما استهدفوه لأجله هو هذا المشروع، ...، فالاستهداف له هو استهدافٌ للمشروع العظيم الذي تحرك به"[١٣].

المحور الثالث: إنجاز القيادة التحويلية: ترسيخ الفاعلية الواسعة للمشروع القرآني عبر قيادة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي

واجه السيد القائد عبدالملك الحوثي منذ استلامه قيادة حركة أنصار الله عددا من التحديات، أبرزها باختصار:

١- **الفراغ القيادي** بعد استشهاد الشهيد القائد، وما صاحبه من ارتباك نفسي وتنظيمي داخل الحركة.

٢-**وجود اتجاهات داخلية رافضة للقيادة الجديدة** ومتمسكة بانتظار عودة الشهيد القائد، بما شكّل شبح خطر انقسام مبكر.

٣- **تذبذب قناعات الأتباع** نتيجة الصدمة والاستهداف، والحاجة إلى الحفاظ على تماسك المسيرة وثقتها بنفسها.

٤- **غياب جغرافيا آمنة ثابتة** يمكن للحركة التمركز فيها وإعادة تنظيم صفوفها.

٥-**الحروب العسكرية الشرسة** التي شنّها نظام علي عبد الله صالح ومن خلفه السعودية وأمريكا، وما رافقها من استنزاف بشري ومادي.

٦- **العزلة الإعلامية والتشويه الإعلامي** الذي صوّر الحركة كفتنة مذهبية أو تمرّد مسلح.

٧-**ضعف الإمكانات الإعلامية والتنظيمية** مقابل آلة إعلامية رسمية مدعومة إقليميًا ودوليًا.

٨-**التدخل الإقليمي والدولي** (السعودي–الأمريكي–الصهيوني) لاستهداف المشروع ومنع تمدده.

٩-**محاولة جرّ الحركة إلى صراع داخلي طائفي أو قبلي** لعزلها اجتماعيًا وتجفيف حاضنتها.

١٠-**الحاجة إلى تحويل حركة محدودة العدد** إلى مشروع شعبي واسع قادر على الصمود والاستمرار رغم الاستهداف.

غير أن عددا من الظروف والعوامل أعانت السيد القائد على تحقيق إنجاز بنيوي مركزي يعتبر من إنجازات المشروع القرآني؛ إذ مثّل العامل الحاسم في انتقال المشروع من مرحلة التأسيس إلى مرحلة الفاعلية الواسعة والتجذّر المجتمعي.

[١٣] كلمة السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي في الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٣٥هـ، ص ٧.

إن هذا الإنجاز لم يكن وليد ظرفٍ طارئ، بل نتاج تفاعلٍ عميق بين شرعية المرجعية القرآنية، وحكمة الأداء القيادي، وعمق الالتحام الشعبي، ضمن رؤية تَعْتَبِر الصراع في جوهره صراعًا حضاريًا وإيمانيًا قبل أن يكون سياسيًا أو عسكريًا.

ويقوم هذا الإنجاز أولًا **على شرعية فكرية ومنهجية راسخة،** مستمَدَّة من الامتداد المباشر لمشروع الشهيد القائد، والالتزام الصارم بالقرآن مرجعيةً ومنهجًا دون انقطاع أو تبديل. وقد مكّن هذا الثبات المنهجي القيادة من الحفاظ على وحدة الاتجاه، وتحصين المشروع من الارتباك أو الانحراف، مع تطوير الوسائل والأدوات بما يخدم الغاية دون المساس بالمضمون.

وفي السياق نفسه، تجلّت **الحكمة القيادية المبكرة في التعامل مع الفراغ القيادي عقب الاستشهاد،** حيث قدّم السيد عبد الملك نفسه في البداية - لمن بقي من الرعيل الأول من معتنقي المسيرة القرآنية - مستشارًا ومحاضرًا لا متصدّرًا، ما جنّب الحركة صدامات داخلية خطيرة، وأتاح انتقالًا هادئًا وتدريجيًا للقيادة. وقد تعزز ذلك بـ **الصبر الاستراتيجي وطول النفس في إدارة الخلافات الداخلية،** وتجنّب الاحتكاك مع الاتجاهات المترددة، حتى اندمجت تدريجيًا في المسيرة ضمن وعي موحَّد.

كما شكّل **إعادة توحيد المرجعية الفكرية عبر إحياء خطاب الملازم والدروس القرآنية** للشهيد القائد ركيزةً أساسية لهذا الإنجاز؛ إذ حُفظت وحدة الوعي والاتجاه، وتكرّست المرجعية القرآنية المشتركة، بما منع تشظّي الفهم أو تعدد الولاءات داخل الحركة. وفي هذا الإطار، برز **الاعتماد على القرآن كمصدر تعبئة وقيادة؛** الأمر الذي منح الخطاب - من حيث المبدأ - مصداقية روحية وأخلاقية عالية، وأسهم في كسر أثر التشويه الإعلامي والحصار المعنوي.

ومن العوامل الحاسمة في هذا الإنجاز القيادي **القدرة على تحويل المحنة إلى رافعة؛** حيث جرى توظيف الحروب والعدوان في تعزيز التماسك الداخلي، وبناء ثقافة الصمود، ورفع منسوب المسؤولية، بدل الانكفاء أو التراجع.

وتكامل ذلك مع الذكاء في **اختيار الجغرافيا (مطرة)** القريبة من التجمعات السكانية الفاعلة؛ لإعادة بناء الحركة وتأهيل كوادرها في بيئة آمنة نسبيًا ومجتمعية حاضنة، شكّلت قاعدة انطلاق تنظيمية وبشرية للمراحل اللاحقة.

وعلى المستوى العسكري، اتسم الأداء القيادي بـ **مرونة تكتيكية عالية،** تجسدت في اعتماد استراتيجية الصمود وحرب الاستنزاف، واستثمار الطبيعة الجبلية والإمكانات المحدودة، بما حافظ على القدرة القتالية ومنع الاستنزاف الشامل.

وبموازاة ذلك، نجحت القيادة في **بناء شبكة تواصل بديلة عن الإعلام الرسمي،** اعتمدت على التسجيلات الصوتية والمرئية، والعلاقات القبلية، والانتشار البشري الأفقي، ما مكّن المشروع من الوصول إلى المجتمع رغم العزلة الإعلامية.

كما مثّل **التحام المشروع بالقضايا الكبرى للأمة** - وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والعداء لأمريكا وإسرائيل - عنصرًا محوريًا في هذا الإنجاز؛ إذ منح المشروع بعدًا وطنيًا وأمميًا، ووسّع قاعدته الشعبية، وحرّره من الانغلاق المحلي، وجعله جزءًا من معركة الأمة الكبرى، بما عزز شرعيته وتماسكه.

وقبل ذلك وبعده يأتي **عامل التأييد من الله لعباده المؤمنين الصادقين** الذين عملوا بالأسباب ووثقوا بوعود الله ورعايته وعونه وتأييده (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: ٤٧].

ومن زاوية تحليلية، يمكن تفسير إنجازات القيادة عبر ثلاثية متلازمة:

شرعية الفكرة، بوضوح المرجعية القرآنية وقدرتها على تفسير الواقع وتحديد الموقف؛

وشرعية الأداء، عبر الصبر والاستمرار وإدارة التحولات دون ارتباك؛

وشرعية العلاقة بالشعب، من خلال خطاب تعبوي–تربوي صادق، يشرك الناس في المسؤولية بوصفهم طرفًا فاعلًا لا جمهورًا سلبيًا.

وخلاصة القول، فإن هذا الإنجاز القيادي لا يُفهم بوصفه مهارة فردية أو نجاحًا إداريًا محدودًا، بل باعتباره إنجازًا تحويليًا للمشروع القرآني نفسه، ورعاية من الله لمن يتحركون في سبيله بحسب توجيهاته؛ إذ حافظ المشروع على جوهره القرآني، وطوّر أدواته من دون تغيير في مضمونه، وأدار الصراع بوعي حضاري، وحوّل المشروع إلى حالة شعبية عامة متجذّرة، تمتلك قابلية الاستمرار والتوسع في مختلف الظروف.

المحور الرابع: فاعلية المشروع القرآني وأسباب بقائه واستمراره رغم الاستهداف والتآمر

تُعدّ فاعلية المشروع القرآني وقدرته على البقاء والاستمرار، بل والتوسّع والإنجاز، رغم شراسة الاستهداف العسكري والسياسي والإعلامي والاقتصادي الذي تعرّض له، من أبرز السمات التي تميّزه بوصفه مشروعًا استثنائيًا في سياق الحركات الإسلامية المعاصرة.

ومن البين أن هذه الفاعلية لم تكن نتاج ظرف مواتٍ، ولا ثمرة تفوق مادي أو دعم خارجي، بل حصيلة منظومة عقدية وتربوية وشعبية وتنظيمية متكاملة، حوّلت الاستهداف من عامل إجهاض وانهيار إلى أداة اختبار وصقل وتعزيز.

أول هذه المنطلقات يتمثل في **المرجعية القرآنية والعقائدية الراسخة**؛ إذ انطلق المشروع من إيمان عميق بالله، وتوكّل واعٍ عليه، وثقة حقيقية بالنصر الإلهي، لا بوصفها شعارات تعبويّة، بل باعتبارها قاعدة نفسية وفكرية وسلوكية تحكم الفعل والموقف والقرار.

ويرتبط بذلك ثانيًا **البعد التربوي الإيماني/الجهادي**، حيث اعتبر المشروع أن بناء الإنسان هو الشرط الجوهري لبقاء أي مشروع تغييري واستمراره. فالتربية القرآنية – كما تؤكد ملازم ودروس الشهيد القائد – هي التي تصنع الصبر، والثبات، والاستعداد للتضحية، وتنتج الإنسان المتوازن المستقيم غير المهزوز، القادر على تحمّل التكاليف في أوقات الشدة، وعدم الانهيار أمام الضغط والحصار. ووفق هذا المنطق، يسبق بناءُ الإنسان بناءَ السلاح، ويضمن فاعليته واستدامته، بدل تحوّله إلى أداة منفصلة عن الوعي والقيم.

أما العامل الثالث، فيكمن في **الشرعية الشعبية والجماهيرية** للمشروع؛ إذ لم يُطرح بوصفه مشروع نخبة مغلقة أو طليعة معزولة، بل باعتباره تعبيرًا عن تطلعات الجماهير للحرية، والعدالة، والكرامة، واستعادة الهوية. وقد قُدّم كمشروع مفتوح لمشاركة الجميع، كلٌّ بحسب استطاعته، الأمر الذي حوّله من حالة محدودة إلى تيار اجتماعي واسع، متجذّر في القاعدة الشعبية، ومحصّن نسبيًا أمام محاولات التفكيك والاختراق.

ويتصل بذلك عامل رابع يتمثّل في **تحويل القضايا الكبرى إلى سلوك يومي**؛ حيث لم تبقَ أدبيات المشروع القضايا المصيرية – وفي مقدمتها القضية الفلسطينية – حبيسة الخطاب النظري أو المناسبات الموسمية، بل جرى تحويلها إلى ممارسات عملية مستمرة، مثل المقاطعة، والفعاليات الجماهيرية، والإنفاق في سبيل الله، والاصطفاف الوجداني والأخلاقي، والانخراط في الحروب التحريرية (معركة الفتح الموعود نموذجا). وبهذا التحول، تشكّل ما يمكن تسميته بـ "مجتمع قضية"، لا "مجتمع ردّ فعل"، مجتمع يرى الصراع جزءًا من حياته اليومية ومسؤوليته المباشرة، وأكّد مصداقية الشعارات التي طرحت سابقا في سلوك عملي يومي؛ وبهذا اكتسب المشروع صفة الثبات والاستمرارية والمبدئية.

ويبرز كذلك **عامل المرونة والتكيّف الاستراتيجي**، حيث أظهر المشروع قدرة عالية على الانتقال المرحلي دون التفريط بجوهره، فانتقل من حركة دعوية ثقافية، إلى قوة مقاومة، ثم إلى فاعل مركزي وصانع قرار، ومن حالة شعبية جماهيرية إلى حالة دولة ومؤسسات، مع الحفاظ على مرجعيته القرآنية وهويته الإيمانية. وقد مكّن هذا التكيّف الواعي المشروع من التعامل مع المتغيرات المعقّدة، وتحويل التحديات إلى فرص لتعزيز الحضور والفاعلية.

ومن أسباب البقاء والفاعلية أيضًا **الاعتماد على الذات**، سواء في المجال العسكري أو التنموي، حيث عمل المشروع على إنتاج أدواته ووسائله المحلية، وانعدام الارتهان للخارج، بما عزّز استقلالية القرار ورفع منسوب الصمود في مواجهة الحصار والعدوان. ولم يُنظر إلى هذا الخيار بوصفه حلًا اضطراريًا، بل باعتباره جزءًا من الاستقلال الإيماني والحضاري، ومكوّنًا من مكوّنات التحرر الشامل، كما أشار إلى ذلك الشهيد القائد نفسه في دروس مديح القرآن.

ويُضاف إلى ذلك **دور القيادة الواعية**، التي جمعت بين البصيرة القرآنية، والفهم السياسي والعسكري المعاصر، وأدارت الصراع بوعي حضاري طويل النفس، لا بردود أفعال آنية أو انفعالية. وقد أسهم هذا النمط القيادي في ضبط إيقاع المسيرة، وتوحيد الاتجاه، ومنع الانزلاق إلى الفوضى أو التشتت.

كما شكّلت **الوحدة الداخلية وتماسك القاعدة الاجتماعية** المبنية على أساس الهوية الإيمانية الجامعة عاملًا حاسمًا في بقاء المشروع، حيث فشلت محاولات شق الصف، أو خلق قطيعة بين القيادة والجمهور، بفعل العلاقة القائمة على الثقة، والمشاركة في المسؤولية، والوضوح في الموقف.

ومن زاوية تفسيرية جامعة، فإن العامل الأهم والأساسي هو أن فاعلية المشروع القرآني وبقاءه رغم الاستهداف تعود إلى كونه مشروعًا مرتبطًا بالله لا بالظروف، يخاطب الفطرة والوعي والمسؤولية، ويبني الإنسان قبل السلاح، ويتحرك كتيار جماهيري لا كنخبة معزولة، ويدير الصراع بوصفه معركة قيم وإرادة.

ويمكن تلخيص أسباب الفاعلية والبقاء، في إطار تفسير سببي مركّب، في خمسة مستويات مترابطة:

- **المستوى المعرفي :** وضوح العدو والغاية من خلال قراءة قرآنية للصراع.
- **المستوى التربوي :** صناعة الصبر، والثبات، والاستعداد للتضحية.
- **المستوى الاجتماعي :** التحول إلى تيار مجتمعي واسع متماسك.
- **المستوى التنظيمي :** قيادة واحدة، ورسائل تعبئة مستمرة، ومرونة في الأداء.
- **المستوى القيمي :** تحويل الأخلاق والمبادئ إلى عنصر قوة وصمود، لا مجرد تزيين خطابي.

وفي مقابل هذه المنظومة المتماسكة، **تعرّض المشروع القرآني لاستهداف متعدّد الأشكال، شمل الحروب العسكرية، والحصار الاقتصادي، والتشويه الإعلامي، والمؤامرات الداخلية؛** غير أن هذه الأدوات فشلت في كسر المشروع، لأنها اصطدمت ببنية إيمانية وشعبية صلبة، جعلت من الصبر الاستراتيجي خيارًا واعيًا بعيدا عن حالة الانتظار السلبي.

وخلاصة القول، إن فاعلية المشروع القرآني وبقاءه لم يكونا استثناءً عابرًا، ولا نتيجة ظرف أو تفوق مادي، **بل ثمرة منطقية لبنية فكرية وتربوية وقيمية متماسكة**، جعلت من الاستهداف عامل اختبار وصقل، ورسّخت المشروع بوصفه تجربة حيّة، قادرة على الاستمرار والتجدّد والتأثير، رغم أقسى ظروف التآمر والعدوان.

المحور الخامس: إنجازات المشروع القرآني على المستويات المحلية والإسلامية والإنسانية

تُعتبر إنجازاتُ المشروع القرآني ثمارًا طبيعية لمسارٍ قرآنيٍّ واعٍ اشتغل على الإنسان والوعي والموقف قبل أن يشتغل على الأدوات والنتائج؛ ولهذا لا تُعرض الإنجازات كحصادٍ متفرق أو استجابات ظرفية، بل كـ تحوّلاتٍ متراكمة نتجت عن بنية الوعي والقرار والمجتمع والدولة، ضمن سياق صراعٍ مفتوحٍ مع الهيمنة والاستكبار.

ومن الناحية المنهجية، يستقيم – عند القراءة الموضوعية – التمييز بين نوعين من الإنجازات: فهناك إنجازاتٌ تحقّقت كليًا أو بدرجة كبيرة، وأخرى دخلت طور التحقق لكنها ما تزال مُعاقَة بالحرب والحصار والظرف القاهر، وأول هذه الإنجازات:

أولا: الإنجاز التأسيسي للمشروع:

في قلب هذه المنظومة ينهض أصلٌ تأسيسيٌّ لا يسبقه شيء في منطق المشروع: أن أعظم إنجاز ليس ما تحقق في الميدان فحسب، بل تقديم المشروع القرآني ذاته بوصفه إطارًا جامعًا للهداية والتشخيص والحل والفعل. ولذلك جاء النص صريحًا لدى السيد القائد - يحفظه الله -: «أعظم إنجاز أنه قدَّم المشروع القرآني»[١٤]

إن هذا الأمر يعتبر تأسيسا لمنهج حياة وفتحًا لمسارٍ تاريخي جديد في زمنٍ وُصِف – في أدبيات السيدين القائدين نفسيهما – بأنه من أعقد وأخطر مراحل الاستهداف للأمة. إن "تقديم المشروع" هنا يعني – في بنيته العميقة – نقل القرآن الكريم من موضع التقديس المجرد إلى موضع القيادة العملية: القرآن مرجعٌ للهداية، لكنّه كذلك محرّكٌ للوعي، ومِعيارٌ للموقف، ومصدرٌ للحل، وبوصلةٌ للفعل. وهذا من أعظم النعم التي يجب أن نشكر الله عليها؛ إذ هيأ لنا مشروعا يمكن من خلالها القيام بواجباتنا الشخصية والجماعية.

ثانيا: الإنجاز الاستراتيجي:

ومن هذه القاعدة تتفرع الإنجازات الاستراتيجية بوصفها أول تجلٍّ واسع لفاعلية المنهج: إذ يتبين بوضوح أن الإنجاز الاستراتيجي الأبرز تمثّل في: ١- إعادة تعريف العدو والتهديد، ٢-وتوجيه بوصلة الصراع نحو مركزه الحقيقي المتمثل في الهيمنة الأمريكية–الإسرائيلية، باعتبارها المحدِّد الرئيس لبقية الملفات السياسية والأمنية والاقتصادية، ٣-وإعادة تعريف الذات والآخر بالإنجاز الهوياتي، ٤-ووجود رؤية لمشروع نهضوي حضاري.

لقد أسهم هذا التحول في كسر حالة التشويش، وإنهاء تعدد "الأعداء الوهميين"، وربط الصراع بسياقه الأممي والحضاري. بهذا المعنى يصبح التعريف الاستراتيجي للعدو ليس قرارًا سياسيًا عابرًا، بل نقلة في الإدراك: فإذا استقام الإدراك استقام ترتيب الأولويات، وإذا انكشف مركز الخطر انكشفت – تبعًا – طبيعة الأدوات التي يشتغل بها العدو في الداخل والخارج.

وفي هذا الإطار، انتقل اليمن من موقع التلقي والانفعال إلى موقع الفعل والتأثير، وتحول من ساحة مستباحة إلى طرف فاعل في معادلات إقليمية، كما في معادلات "وحدة الساحات"، و"معركة الفتح الموعود"، ومنازلة الأمريكان لجولتين من الحرب غير المسبوقة في البحر الأحمر، مع نجاح كبير في بناء سردية مقاومة تتجاوز الإطار القطري إلى منطق الأمة.

لقد تمظهرت تجليات هذا الإنجاز الاستراتيجي في صورٍ عملية كبرى: كسر الهيبة الأمريكية، وتحريم البحر الأحمر على العدو الصهيوني، واستعادة القرار المستقل، وتجاوز المذهبية، والانتصار لفلسطين قولا وعملا، والاستعداد الدائم والعالي لخوض معارك الأمة مهما كلف الثمن.

---

[١٤] كلمة الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٣٥هـ، ص ٨.

لقد أُطِّر إنجاز مواجهة أمريكا بعبارةٍ جامعة تُظهر جوهر الفكرة: «أمريكا ليست قدرًا محتوما، ويمكن كسرها إذا تحركت الأمة على أساس القرآن»، وهي عبارة لا تقف عند حد التحريض المعنوي؛ بل تؤسس لفلسفةَ فعلٍ وهي: أن الاستكبار ليس "قدرًا"، وأن كسره مشروطٌ بتحويل القرآن الكريم من نصٍّ يُتلى إلى أساسٍ يُحرّك الأمة في وعيها وموقفها واستعدادها.

ثالثا: الإنجاز السيادي:

ومن الإنجازات الاستراتيجية تنبثق الإنجازات السيادية بوصفها ترجمةً داخلية لهذا التحول: ففي المستوى السيادي، نجح المشروع في بناء خطاب استقلال يربط السيادة بالقرار والثقافة والهوية، لا بالشعار السياسي المجرد. وقد جرى رفض "الاستجداء السياسي" بوصفه مدخلًا للهزيمة، وتمت تغذية هذا الموقف بخطاب ديني وأخلاقي يربط الكرامة الوطنية بالتحرر من الوصاية.

بل إن ثورة ٢١ سبتمبر – التي تعتبر من أكبر الإنجازات الاستراتيجية والسيادية – كانت استجابة لمنع انهيار الدولة وتحولها إلى ساحة احتلال أمريكي "تحت عناوين إنقاذية"، كما ورد في خطاب السيد القائد في ذكراها الأولى لعام (٢٠١٥م). وقد بات اليمن منذ ثورة ٢١ سبتمبر سيد قرار نفسه، وهذا ما أزعج أولئك الأعداء فشنوا عليه حربا ضروسا منذ ٢٠١٥م.

وهنا تتضح علاقة الارتباط: فالسيادة – كما تتشكل في سردية المشروع – لا تُبنى أولاً في الدستور أو المفاوضات، بل تُبنى في الوعي: في تعريف العدو، وفي رفض الخضوع، وفي إعادة تأسيس معنى الكرامة.

رابعا: الإنجاز السياسي:

وعلى هذا الأساس يأتي الإنجاز السياسي بوصفه قلب السيادة: إذ يقرر خطاب ١٤٤٥هـ للذكرى السنوية للشهيد القائد أن من آثار نجاح المشروع القرآني "حماية أبناء شعبنا... من الولاء لأمريكا"، وأن الناس يهتفون بـ(الموت لأمريكا) بدل الولاء لها، ويعرفون حقيقتها "بعين القرآن". ويعرض ذلك الخطاب أيضاً أن المشروع القرآني أصيل و"ليس دخيلاً"، وأنه يقوم على "موقف من أعداء هذه الأمة... وعداء للأعداء... وتحرك عملي يبني... في وعيها وثقافتها... وواقعها السياسي والاقتصادي... والعسكري... وفي كل المجالات".

من المظاهر الواضحة لهذا الإنجاز السياسي: كسر الوصاية الخارجية، واستعادة القرار الوطني المستقل، والانتقال من حركة احتجاجية إلى فاعل سياسي مركزي أعاد تشكيل بنية السلطة وفرض معادلة ردع أنهت التعامل مع اليمن كساحة مفتوحة للإملاءات، والسعي إلى بناء دولة قوية عادلة.

لقد تم تأسيس شرعية سياسية بديلة عن الخضوع والارتهان لأمريكا والغرب الكافر قوامها التفويض الشعبي والصمود في مواجهة العدوان، وتم الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية وإدارة شؤون الدولة رغم الحرب والحصار، وتم ترسيخ خطاب سيادي جامع أعاد الاعتبار للقضايا الكبرى وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

إن هذا يؤكد أن الاستقلال السياسي الحقيقي يبدأ من تحرير الإدراك من الدعاية، ثم يتجسد في موقف علني وسلوك عام؛ ولذلك يمكن وصف هذا الأمر بأنه "سيادة وعي": سيادةٌ تُقيم الدولة في الداخل قبل أن تُعلنها في الخارج، وهذا هو ما أنجزه المشروع القرآني بدرجة عالية.

خامسا: الإنجاز النهضوي:

غير أن كل ما تقدم لا يستقيم دون الإنجاز النهضوي الأكبر الذي يشكّل جسر العبور من الوعي إلى الفعل، وإخراج الأمة من "الصمت" إلى "الموقف". وقد وصف السيد القائد في كلمته في الذكرى السنوية للشهيد ١٤٣٥هـ المشروع بأنه "نهضوي يترتب عليه تحريك الأمة وتفعيلها والنهضة بها، فهو ينهض بالأمة إلى الأعلى، يخرجها من حالة الصمت إلى الموقف، من حالة القعود إلى القيام إلى التحرك، ثم يقدم المقومات

اللازمة للنهضة بالأمة وانتشالها من واقع الوهم والضعف والعجز والتخلف"، وأضاف أن "هناك مساحة واسعة في الدروس والمحاضرات التي تتحدث عن أهم المقومات النهضوية التي تنهض بالأمة وتنتشلها من حالتها التي هي فيها وهي حاله بئيسة ومؤسفة".

وهذه بعض ملامح إنجاز المشروع القرآني النهضوي، فهو: ١- مشروع تحريكي لا تبريري، نقل الأمة من موقع التلقي السلبي إلى موقع المبادرة والموقف. ٢- مشروع تفعيلي أعاد للأمة دورها ووظيفتها الرسالية، ولم يكتف بوصف الواقع أو التكيّف معه. ٣- أنه قدّم مقومات النهضة الفكرية والتربوية والأخلاقية والسياسية، ولم يطرح حلولًا جزئية أو ترقيعية. ٤- أنه هدف إلى انتشال الأمة من أوهام القوة الزائفة، ومن عقد العجز والدونية، باتجاه الثقة بالله وبالذات وبالقدرة على التغيير. وبهذه المؤشرات، يُقدَّم المشروع القرآني بوصفه إطارًا نهضويًا متكاملًا، أعاد تعريف معنى النهوض بوصفه وعيًا، وموقفًا، ومسؤولية تاريخية، قبل أن يكون إنجازًا ماديًا أو سياسيًا.

سادسا: الإنجاز التربوي:

وفي هذا السياق نفهم لماذا تحتل الإنجازات التربوية موقعًا مركزيًا في المشروع القرآني؛ إذ يُعدّ الحقل التربوي من أكثر الحقول حضورًا في إنجازات المشروع، حيث جرى تعميم التربية الإيمانية والجهادية بوصفها ضرورة المرحلة، لا ترفًا دعويًا. وتم توجيه الخطباء والمعلمين والبرامج الثقافية نحو خطاب المسؤولية والموقف، بدل التبرير والتهدئة السلبية. وقد أسهم هذا التوجه في صناعة نمط جديد من الشخصيات: منضبطة، مستعدة للتضحية، ذات حس أخلاقي عالٍ، ترى العمل عبادة والمسؤولية تكليفًا، وترى الاستعداد للجهاد تكليفا شرعيا مشرفا مهما كانت النتائج. ويؤكد الشهيد القائد هذا البعد بقوله: «التربية الجهادية هي التي تصنع الروح المهذبة» (في ظلال دعاء مكارم الأخلاق).

إن العلاقة هنا واضحة وهي أن: التربية ليست ملحقًا بالمشروع، بل هي مصنع الإنسان الذي يستطيع أن يحمل "الموقف"، وأن يدفع كلفة الحرية، وأن يتجاوز الإغراء والتهديد.

لقد انطلقت التربية في المشروع القرآني بوصفها عملية بناء شاملة للإنسان في وعيه وإيمانه وسلوكه ومسؤوليته، وأن التربية القرآنية تصنع الإنسان الحرّ الواعي، القادر على الثبات والتضحية وتحمل التكاليف، وتحرّره من الخوف والوهن والتبعية، عبر ربطه بالله وتفعيل إحساسه بالمسؤولية تجاه قضايا أمته.

لقد نجح المشروع تربويا في تحويل القرآن الكريم إلى مصدر وعي وحركة وموقف، وأسهم في صناعة جيل متماسك نفسيًا وأخلاقيًا، حاضر في الميدان، منضبط بالقيم، وقادر على الصمود في ظروف الحرب والحصار، بما جعل التربية رافعة أساسية للصمود المجتمعي والاستمرارية النهضوية للمشروع، لا هامشًا دعويًا مكمّلًا له.

لقد ظهرت التربية في فكر الشهيد القائد وفي إنجازاته بأنها هندسة وعي جماعي، وليست مجرد إصلاح فردي، ورفعت القابلية للمسؤولية، وأغلقت منافذ الاختراق، ووجهت جماهير عريضة باتجاه واحد، وضمن مسؤولية مشتركة، ورفعت عندهم حالة الاستعداد لدفع تكاليف حمل المشروع إلى مستويات قياسية.

سابعا: الإنجاز الفكري والثقافي:

من الإنجاز التربوي ينفتح الحقل الفكري والثقافي بوصفه العمود المعرفي لكل البناء: على المستوى الفكري، ثبّت المشروع منهج قراءة الواقع بالقرآن الكريم، وتقديم التشخيص والحل بدل الاستغراق في التنظير أو الخطابة المجردة. كما أسهم في تخفيف القيود المذهبية والطائفية في النظر، وجعل معيار الانحياز هو القرآن والعدالة والواجب.

لقد تحقق إنجاز نوعي في البعد الفكري والثقافي تمثّل في إعادة بناء الوعي العام على أساس قرآني ناقد ومتحرّر، بعد عقود من التشويش الثقافي الناتج عن الأخطاء الثقافية والمفاهيم الخاطئة ومن التغريب والاستلاب.

وقد أسهم في إحداث تحوّل عميق في منظومة المفاهيم والقيم، وربط الثقافة بالمسؤولية والموقف، لا بالاستهلاك أو الحياد.

لقد كان عمود هذا الإنجاز هو معرفة الله المعرفة الصحيحة بما عرّف به نفسه في كتابه الكريم؛ حيث لاحظ الشهيد القائد أن الأمة تعيش أزمة ثقة بالله تعالى؛ ولهذا سارع إلى تقديم الحل بتقديم دروس معرفة الله التي تنتج الثقة واليقين بالله والتوكل عليه والمحبة له والتعظيم والإجلال، التي تجعل صاحبها يسارع في مرضاته ليس لكي يقوم بالواجب الذي وجب عليه فقط بل محبة له سبحانه وتعالى وخوفا منه.

كما تتجلّى مظاهر هذا الإنجاز في: (١) إعادة الاعتبار للقرآن الكريم كمصدر تفكير ومنهج حياة لا كنص تعبّدي معزول، (٢) تفكيك ثقافة الخضوع والتبعية، وكشف أدوات التضليل الإعلامي والفكري، (٣) ترسيخ ثقافة العزة والهوية الإيمانية في مقابل ثقافة الهزيمة والانهزام النفسي، (٤) إحياء الوعي بالقضايا الكبرى للأمة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، بوصفها معيارًا ثقافيًا وأخلاقيًا، (٥) تحويل الخطاب الديني من خطاب تبريري ساكن إلى خطاب تحريكي واع، (٦) إنتاج حالة ثقافية جماهيرية فاعلة عبر الدروس، والأنشطة، والمناسبات التعبوية، (٧) بناء جيل يمتلك أدوات الفهم والنقد والتمييز بين الحق والباطل.

كما أسهم المشروع في تفكيك الأوهام وفضح "الأعداء الحقيقيين" وإعادة تعريف العدو الحقيقي في سياق الهيمنة الأمريكية–الإسرائيلية، وهو ما شكّل لاحقًا الأساس المعرفي للإنجازات الاستراتيجية والسيادية. فالفكر هنا ليس وصفًا للأزمة، بل إعادة بناء للمفاهيم التي تُنتج القرار.

وفي هذا الحقل تبرز وظيفة التحصين: إذ يصف خطاب الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٤٣هـ المشروع القرآني بأنه جاء "مشروع تحصين للأمة من الداخل"، في مواجهة "الحملات التضليلية الهائلة" وسعي الأعداء لترسيخ الولاء لهم، وأنه قدّم "الوعي والبصيرة كأول متطلبات هذا الصراع". وذكر السيد القائد في خطاب آخر أن نجاح مؤامرات الأعداء يعتمد على الاختراق الداخلي، وأن المشروع يعالج ذلك ببناء الحصانة والوعي.

إن الثقافة - هنا - ليست حقلًا تجميليًا، بل هي ميدان حرب؛ والتحصين ليس "إغلاقًا"، بل "إضاءة"، فحين يتضح العدو وتتكشف أدواته تسقط قابلية المجتمع للانخداع.

ثامنا: الإنجاز الهوياتي:

من داخل هذا البناء الفكري تتفرع مسألة الهوية بوصفها فلسفة انتماء، وبوصلة اتجاه، وقد ذكر السيد القائد في خطاب الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٣٥هـ أن من أهم إنجازات الشهيد القائد "تأصيل الهوية الجامعة وهي الهوية الإسلامية" في مواجهة إبراز "الهويات الجزئية الطائفية... والجغرافية". ويضيف قائلا: "ولذلك دائماً ما يتناول الحديث عن القضايا الرئيسية للأمة ويتحدث عن أي حدث في أي قطرٍ من أقطار العالم الإسلامي يطال أي مسلمين باعتباره حدثاً يعنينا نحن ونتحمل مسئولية تجاهه نحن".

إن هذا الإنجاز لا يُقرأ كدعوة وحدةٍ خطابية، بل كإعادة تعريف الذات الجماعية: من شظايا متنازعة إلى أمة لها قضايا كبرى ومعيار جامع، وهو ما يمهّد لتماسك الجبهة الداخلية ولتجاوز تلاعب العدو بأدوات التفريق، وإيجاد اتجاه واحد للأمة جمعاء.

لقد خصص السيد القائد ذكرى جمعة رجب محطة للتعبية والتثقيف بالهوية الإيمانية الجامعة، فمثّل ذلك تحوّلًا عميقًا في وعي الفرد والمجتمع، تحولا من هوية مشوشة أو منزوعة الفاعلية إلى هوية واعية بالله، منتمية لقيم الإسلام، وحاضرة في ميدان المسؤولية والموقف.

وقد أسهمت الهوية الإيمانية في إعادة تعريف الانتماء على أساس الإيمان والكرامة والعزة، وربط السلوك الفردي والجماعي بالقرآن كمنهج حياة. وتجسّد هذا الإنجاز في تحرير الوعي من عقد الخوف والدونية، وبناء

شعور جماعي بالمسؤولية تجاه قضايا الأمة، وفي مقدمتها مواجهة الظلم والهيمنة، وفتح نوافذ الالتقاء بين أبناء المجتمع الواحد والأمة الواحدة، وأطاح بالهويات الصغيرة التي كان يتخندق فيها كثير من أبناء المجتمع، وكانت مدخلا لمشاريع التفتيت والتمزيق، ما جعل الهوية الإيمانية – في خطاب المشروع – مصدر قوة وصمود، وإطارًا جامعًا يحفظ التماسك الاجتماعي، ويوجه الحركة السياسية والثقافية والتربوية في اتجاه نهضوي واضح.

لقد سعى الأعداء إلى التفريق وإثارة النزاعات وصناعة الهويات الانفصالية، وقد حذّر الشهيد القائد من الطائفية بوصفها سلاحًا صهيونيًا، فقال: «اليهود يستخدمون سياسة التفريق، والمذهبية من أخطر أسلحتهم»، لكن هذا الإنجاز الهوياتي يمنع فاعلية هذا التوجه وهذا السعي، وكلما ترسخت الهوية الجامعة ضعفت فعالية أدوات التفريق، وكلما ضعفت أدوات التفريق اتسع المجال لبناء مجتمع متماسك قابل للتعبئة في القضايا الكبرى.

تاسعا: الإنجاز الأخلاقي:

في قلب الثقافة والهوية ينهض الإنجاز الأخلاقي-القيمي؛ إذ تقرر كلمة السيد القائد في الذكرى السنوية للشهيد القائد ١٤٣٥هـ أن من أبرز سمات المشروع أنه "أخلاقي وقيمي... يهدف إلى إعادة الأمة... إلى قيمها وأخلاقها القرآنية".

وهنا تظهر العلاقة الفلسفية بين الأخلاق والصراع: فحين تصبح الأخلاق جزءًا من تعريف النهضة، يتحول الصراع من تنازع مصالح إلى امتحان قيم؛ ومن يملك معيار الحق يملك اتجاه التاريخ.

يتمثّل الإنجاز الأخلاقي الأبرز لهذا المشروع في ترسيخ معيار أخلاقي عملي يربط الإيمان بالموقف، والقول بالفعل، ويجعل من نصرة المظلوم واجبًا لا يخضع للحسابات السياسية أو الضغوط الدولية. وقد قدّم المشروع القرآني نموذجًا في الثبات على القيم، ورفض المساومة على الحق، وتحويل الأخلاق من خطاب وعظي إلى التزام سلوكي وسياسي، تجلّى في مناصرة فلسطين وغزة رغم الحصار والحرب والتكلفة الباهظة. وقد عبّر عن هذا البعد الأخلاقي بوضوح جورج غالاوي حين أشاد بموقفهم قائلًا – بمعناه – إن اليمنيين قدّموا درسًا أخلاقيًا للعالم، وجسدوا المركز العالمي للأخلاق الإنسانية.

إن الإنجاز الأخلاقي يتمثل في إعادة الاعتبار لفكرة أن القيم ليست ترفًا أخلاقيًا ولا شعارًا إعلاميًا، بل أساس للسياسة، وميزان للحق، وبوصلة للموقف، وهو ما جعل حضور المشروع في معركة فلسطين حضورًا أخلاقيًا قبل أن يكون عسكريًا أو سياسيًا.

عاشرا: الإنجاز الاجتماعي:

ومن الأخلاق إلى الاجتماع تتضح ثمرة الانتقال "من النخبة إلى الجماهير": اجتماعيًا، يُسجَّل للمشروع نجاحه في تحويل العداء لإسرائيل من موقف نخبوي إلى حالة جماهيرية عامة، وربط ذلك بالتكافل الاجتماعي والإنفاق والفعاليات والعمل الميداني. كما عزز المشروع معنى الأمة الواحدة وأسهم في تراجع بعض الحواجز النفسية بين المكونات لصالح قضية جامعة.

يتمثّل الإنجاز الاجتماعي الأعمق للمشروع القرآني في إعادة تأسيس المجتمع - إلى حد ما - بوصفه جماعة مسؤولية وليس تجمع مصالح، ورابطة قيم وليس رابطة تساكن جغرافي عصبوي. فقد اشتغل المشروع على تفكيك البُنى الاجتماعية المأزومة التي راكمتها عقود من التهميش والفساد والصراع القبلي والمناطقي والحزبي، وأعاد وصل الفرد بالجماعة عبر معيار أخلاقي جامع قوامه الإيمان، والعدل، والتكافل، والكرامة الإنسانية. وفي هذا التصور، لم يعد المجتمع ساحة تنافس أناني أو فرزٍ فئوي، بل فضاءً للتكافل والصمود وتقاسم الأعباء، حيث تحوّلت مفاهيم كالتضحية، والإنفاق، والتكافل الاجتماعي، وتحمل المسؤولية العامة، من شعارات مثالية إلى ممارسات يومية ملموسة.

إن هذا التحول الاجتماعي هو ما مكّن المجتمع اليمني من الحفاظ على تماسكه في أقسى ظروف الحرب والحصار، لأن المشروع لم يراهن على الدولة بوصفها جهازًا إداريًا فحسب، بل على المجتمع بوصفه طاقة أخلاقية حيّة، قادرة على إعادة إنتاج ذاتها، وحماية نسيجها، وتحويل المعاناة إلى معنى، والضغط إلى وعي، والانقسام إلى وحدة قيمية، وهو ما يجعل الإنجاز الاجتماعي للمشروع القرآني إنجازًا تأسيسيًا طويل الأمد، لا أثرًا ظرفيًا عابرًا، على رغم التحديات الكثيرة التي تنتظر هذا المشروع في هذا الإنجاز.

حادي عشر: الإنجاز العسكري والأمني:

تأتي الإنجازات العسكرية والأمنية بوصفها نتيجة طبيعية لثقافة قرآنية ترى الإعداد والمواجهة جزءًا من الواجب الشرعي والأخلاقي والحضاري وليس خيارًا اضطراريًا. وقد جرى تطوير القدرات وبناء معادلة ردع إقليمية وعالمية، بلغت حد منازلة أقوى قوة عسكرية على هذا العالم، وهي أمريكا، في البحر الأحمر، وأجبرها على هروب حاملات طائراتها من بحار المنطقة كلها، كما بلغ هذا الإنجاز إلى مستوى أن تم كشف وفضح كثير من الخلايا التي عملت بتقنيات عالية لحساب أخطر وأقوى أجهزة المخابرات العالمية المعادية. كما بلغ أن باتت اليمن تصنع معظم مستلزمات المعركة الاستراتيجية والتكتيكية، من الطلقة إلى الصاروخ والطائرة، مع إنجازات تكاد اليمن أن تتفرد بها، مثل صناعة وابتكار الصواريخ الفرط صوتية، والصواريخ البالستية التي تقصف أهدافا متحركة في البحر.

لقد حوّل المشروع القرآني القوة العسكرية والأمنية من مجرد أداة قتال إلى تعبير واعٍ عن الإرادة والسيادة والأخلاق في آنٍ واحد. فالمشروع لم يبنِ قدرته العسكرية على التفوق التقني المجرد، بل على إعادة تشكيل المقاتل بوصفه إنسانًا ذا قضية، منضبطًا بقيم الإيمان والمسؤولية، يرى السلاح امتدادًا للموقف لا بديلًا عنه. وقد أفضى هذا المنهج إلى بناء قوة قادرة على الصمود والتكيّف والتعلّم الذاتي، وتحويل الحصار والعدوان إلى مختبر تطوير لا إلى سبب انهيار، بما مكّن من إنتاج معادلات ردع غير متكافئة، وفرض حضورا يمنيا فاعلا في معادلات الصراع الإقليمي. وفي هذا المعنى، يقدّم هذا الإنجاز بوصفه نتاجًا لتزاوج الوعي بالقيمة مع الاستعداد للتضحية، حيث لم تعد المعركة مجرد صراع نار ونار، بل صراع إرادات، انتصرت فيه الإرادة المؤمنة المنظّمة على التفوق المادي، ورسّخت مفهوم أن القوة الحقيقية تنبع من الإنسان حين يمتلك معنى القتال قبل أدواته.

ثاني عشر: الإنجاز الاقتصادي:

ويتصل بذلك الحقل الاقتصادي إذ يقدّم المشروع أول إنجازاته في هذا الصدد منع الانهيار الكامل الذي سعى له العدو في ظل حرب وحصار، والحفاظ على الحد الأدنى من الوظائف الحيوية، وبناء اتجاهات للاعتماد على الذات بقدر الإمكان. وتُعدّ المقاطعة الاقتصادية أقل واجب، ورافعة وعي وسلوك لا مجرد إجراء احتجاجي. ويرى المشروع أنه لا معنى للسيادة السياسية إن بقي الاقتصاد مربوطًا بأدوات الإخضاع، ولا معنى للموقف إن لم يتحول إلى سلوكٍ اقتصادي ينسجم مع مبدأ الاستقلال.

لقد أعاد المشروع تعريف الاقتصاد بوصفه مجال صمود وسيادة وعدالة، لا مجرد إدارة موارد في ظرف طبيعي. فقد واجه المشروع حربًا اقتصادية شاملة وحصارًا خانقًا باستراتيجية تقوم على الاعتماد على الذات، وترشيد الموارد، وتفعيل التكافل الاجتماعي، وحرّر لقمة العيش عن الابتزاز السياسي الخارجي.

وعلى الرغم من الضغوط الهائلة التي مورست على المشروع، فقد نجح في الحفاظ على الحد الأدنى من الاستقرار المعيشي ومنع الانهيار الكامل، عبر إدارة داخلية للإيرادات، وتشجيع الإنتاج المحلي، وضبط أولويات الإنفاق، وربط النشاط الاقتصادي بالقيم الأخلاقية الإنسانية كالزكاة والإنفاق والمسؤولية الاجتماعية.

وفي هذا التصور، لم يكن الاقتصاد مجال رفاه أو نمو تقليدي، بل ساحة مقاومة بوسائل مختلفة، حيث تحوّل الصبر الاقتصادي إلى وعي، والاكتفاء النسبي إلى خيار سيادي، وأصبحت القدرة على العيش والعمل تحت الحصار إنجازًا اقتصاديًا بحد ذاته، يؤكد أن الاستقلال الاقتصادي يبدأ من تحرّر الإرادة، لا من وفرة الإمكانات.

ثاني عشر: الإنجاز المناعي والتمددي أمام الضغوط:

يتجلّى الإنجاز التمدّدي للمشروع القرآني بوصفه حصيلةً مطّردةً لمجموع إنجازاته السابقة، ويكشف عن حيوية مسارٍ استثنائيٍّ تحكمه مفارقة تاريخية لافتة هي أنه: كلما حورب هذا المشروع ازداد قوة وتوسعا وتمددا، وقد اعترف كثير من أعداء هذا المشروع بعد أن لاحظوها، وقالوا: إن هذا المشروع يتمدد في ظل الحروب والضغوط.

وأشار السيد القائد ففي كلمة الذكرى السنوية للشهيد القائد لعام ١٤٤٥هـ إلى هذه الظاهرة باعتبارها "مفارقة عجيبة ودلالة واضحة على عظمة المشروع القرآني"، حيث لم تؤدِّ الحروب المتتالية والتشويه المكثف إلى إضعافه، بل إلى "نقلاته الكبيرة" و"انتصاراته العظيمة"، بما أثبت أنه "مشروع ناجح، مهم، وضروري"، وأن نجاحاته تحققت على نحوٍ واضح رغم الاستهداف الشامل.

والقراءة الفلسفية لهذا الإنجاز أن التمدد في ظل الخصومة تحوّلت إلى برهان؛ فالصراع لم يُسقِط المشروع، بل كشف عمقه البنيوي، لأن مصدر قوته ليس الاستقرار المترف ولا التهدئة المؤقتة، بل الاتصال بالهداية والوعي والمسؤولية. وقد رأينا أن بقية الحركات التي على الساحة تسقط كلما رفع عنها غطاء الخارج، كما حصل للانتقالي الجنوبي قبل أيام، وهكذا، صار الضغط ذاته مُحرّكًا للنمو: تُفرَز من خلاله الصفوف، وتتعمّق القناعات، وتتراكم الخبرات، ويتحوّل الألم إلى وعي، والتهديد إلى دافع، في مسارٍ تصاعديٍّ يربط التمدّد بالمعنى والغاية لا بالظرف والحالة، ويجعل من الاستهداف طاقةَ بناءٍ لا سببَ تآكل.

ثالث عشر: إنجاز القراءة السننية للمآلات

يتصف هذا المشروع بمصداقية الرؤية مع مرور الزمن، وفي كلمته في الذكرى السنوية للشهيد القائد لعام ١٤٣٥هـ ذكر أن من سمات هذا المشروع "استباقية الرؤية ومصداقيتها"، وأن الزمن قدّم "شواهد كثيرة" على صحة كثير من التوقعات والتحذيرات التي أطلقها المشروع على لسان رائده الشهيد القائد رضوان الله عليه.

إن الإنجاز في هذا الباب يتجسد في قدرة المشروع على فهم الصراع بوصفه مسارًا تحكمه قوانين إلهية وتاريخية ثابتة، لا سلسلة أحداث عشوائية أو مفاجآت غير قابلة للتفسير. وهذه القراءة لا تنطلق من تنبؤات غيبية أو حسابات سياسية آنية، بل من وعيٍ عميق بسنن الله في قيام الأمم وسقوطها، وفي صراع الحق والباطل، وفي علاقة الظلم بمآلاته الحتمية. ووفق هذا المنظور، يقرأ المشروع نتائج الأفعال قبل وقوعها، ويربط الخيارات بكلفها المستقبلية، ما مكّنه من التحذير المبكر من مسارات الهيمنة الأمريكية-الإسرائيلية، ومن توظيف الأدوات التكفيرية والإعلامية والاقتصادية، ثم رؤية تحقق تلك التحذيرات مع مرور الزمن.

وتكمن القيمة النهضوية لهذا الإنجاز في أنه حوّل الوعي بالمآلات إلى عنصر تعبئة وثقة، حيث كلما أثبت الزمن صدق القراءة، تعزّزت مصداقية المشروع، وارتفعت قابلية المجتمع لتحمّل التكاليف؛ لأن الحركة لم تعد استجابة انفعالية للحظة، بل فعلًا واعيًا يتحرك على بصيرة، ويمارس الحاضر وهو يرى المستقبل في ضوء السنن لا في ظلال الوهم.

خلاصة الإنجازات - على المستويات المحلية والإسلامية والإنسانية – تتمثل في كونها مسارًا تحويليًا أعاد بناء الوعي والإنسان والموقف انطلاقًا من القرآن بوصفه مرجعًا للهداية والتشخيص والفعل، لا نصًا تعبديًا معزولًا. فقد أسهم في إعادة تعريف العدو وبوصلة الصراع نحو مركز الهيمنة، وكسر الوصاية الخارجية، وترسيخ سيادة القرار وشرعية قائمة على الوعي الشعبي والصمود. ونهضويًا، نقل المجتمع من الصمت إلى

الموقف، ومن القعود إلى الحركة، عبر مشروع تحريكي تفعيلي اشتغل على التربية والهوية والثقافة والأخلاق، فصنع إنسانًا واعيًا ومسؤولًا، وعبر هويةٍ إيمانية جامعة، ومجتمع تكافل وصمود. وعسكريًا واقتصاديًا، أدار الصراع بمنطق الإرادة والمعنى، فبنى معادلة ردع ومنع الانهيار تحت الحصار ورسّخ الاعتماد على الذات. ويتوّج ذلك بإنجازين نوعيين: المناعة التمددية المطّردة التي جعلته يتعاظم كلما حورب، والقراءة السننية للمآلات التي منحت رؤيته مصداقية زمنية متراكمة، ليظهر كتجربة قرآنية حيّة تعيد تعريف النهضة والسيادة والمقاومة بوصفها وعيًا وموقفًا ومسؤولية تاريخية.

المحور السادس: مستقبل المشروع القرآني في اليمن
(التحديات والسيناريوهات ومحددات الانتصار)

يمثّل استشراف مستقبل المشروع القرآني امتدادًا طبيعيًا لتحليل مسيرته وفاعليته وإنجازاته، لا قفزًا على الواقع ولا تنبؤًا إنشائيًا. فالمشروع – كما تقدّمه أدبياته وتجربته العملية – يقوم على معادلة سننية واضحة تربط بين الوعي والتربية والموقف والنتائج، وهو ما يمنح الحديث عن مستقبله أساسًا تحليليًا راسخًا، يستند إلى مؤشرات قوة داخلية، وإلى قراءة دقيقة لطبيعة الصراع المركّب الذي يتحرك في إطاره.

لقد أثبتت التجربة أن المشروع القرآني في اليمن يتمتع بقدرة عالية على الصمود أمام العوامل الخارجية السلبية؛ إذ نما وتماسك في ظل تحالف عالمي معادٍ، مرورًا بالحروب الداخلية المفروضة إقليميا ودوليا، وعدوان التحالف السعودي–الإماراتي، وصولًا إلى المواجهة مع الولايات المتحدة وبريطانيا والكيان الصهيوني، دون أن يتراجع عن خياراته الكبرى أو يتنازل عن ثوابته. هذا الصمود يكشف حقيقة مهمّة وهي: أن الخطر الأكبر على المشروع ليس خارجيًا بقدر ما هو داخلي.

أولًا: مفارقة القوة... مشروع قوي ودولة ضعيفة

الآن بعد أن تمكن المشروع من إدارة الدولة في اليمن كشفت التجربة الراهنة عن مفارقة بنيوية دقيقة، هي: أن المشروع القرآني يمتلك قوة سيادية وعسكرية وأمنية عالية، مكّنته من ردع خصوم دوليين وإقليميين، لكنه في المقابل يعاني من ضعف ما في أدوات الدولة المؤسسية، ولا سيما في مجالات العدالة، والقضاء، والمساءلة، والحوكمة.

فالجيش والأمن قادران على ضبط المتهم أو المجرم خلال ساعات، لكن القضاء بطيء في إنجاز العدالة، وانتقائي في بعض الأحيان، ويقع ثقله غالبًا على الضعفاء، ما يدفع المواطن – في حالات كثيرة – إلى أخذ حقه بيده نتيجة اهتزاز الثقة بالمؤسسات.

وتفسير ذلك أنه حين يواجه المشروع أعداءه الخارجيين، فإنه ينجز ذلك بوصفه مشروعًا جامعًا فينتصر، أما حين يتعلق الأمر بفرض العدالة على شيخ نافذ أو مسؤول فاسد من الداخل، فإن المواجهة تُترك لأداة دولة ضعيفة، لا للمشروع نفسه، فتفشل أو تتعثر. هذه الازدواجية تهدد هيبة الدولة من الداخل، مهما كانت الجبهة الخارجية متماسكة.

ثانيًا: التحديات الداخلية:

إلى جانب ضعف المؤسسية في بعض جهات الدولة، تبرز جملة من التحديات الداخلية المتراكمة، من أبرزها:

١-ضعف التماسك الداخلي بين مكونات المشروع وقياداته، ووجود بؤر انفصالية ناعمة تمارس التشتيت والتنميط، عبر شبكات مصالح، وشللية، وتنازع صلاحيات، وتنابز انتماء.

٢-التناقض بين الرؤية والواقع في بعض الأحيان؛ فالمشروع يرفع شعار العدالة الاجتماعية ومكافحة الفساد، لكن الإنجاز في هذا المجال ما يزال دون سقف التوقعات الشعبية، ما يولّد نقمة على المسؤولين قد تتوسع إن لم تُعالج.

٣-صعوبة محاسبة بعض القيادات التي تمتلك "رصيدًا تاريخيًا" أو رصيدا مجتمعيا؛ حيث يجري أحيانًا تدويرها بدل محاسبتها، ما يرسّخ قاعدة خطيرة مفادها أن الكبار بمنأى عن المساءلة، وباتت ظاهرة ترك حبل المسؤول على غاربه ظاهرة مهددة للثقة الشعبية والجماهيرية.

٤-اتساع الفجوة المعيشية في ظل الحصار والفقر العام، مقابل تحسن نسبي في أوضاع بعض النخب الإدارية، وهو تفاوت مرئي يضعف الإحساس بالعدالة.

٥-تحوّل القاعدة الاجتماعية من حاضنة مموِّلة ومحتسبة للأجر في مرحلة الحركة، إلى جمهور ثقيل يلقي بأعبائه على الدولة وينتظر مواردها تلبية لاحتياجاته في مرحلة الدولة، دون أن تتوفر بعد شبكات أمان اجتماعي كافية أو سياسات تمكين اقتصادي واسعة.

هذه التحديات، إن تُركت دون معالجة جذرية، قد لا تُسقط المشروع، لكنها تُنهكه تدريجيًا، وتحوّل رصيده الأخلاقي إلى عبء إن لم يُترجم إلى عدالة ملموسة.

السيناريوهات المحتملة لمستقبل المشروع القرآني في ضوء التحديات الداخلية

السيناريو الأول : سيناريو الاستنزاف الداخلي الصامت (السيناريو السلبي الخطر)

في هذا السيناريو، يستمر المشروع القرآني قويًا في مواجهة الخارج، محافظًا على تماسكه السيادي والعسكري، لكنه يفشل في معالجة التحديات الداخلية معالجة جذرية، فتحدث الظواهر الآتية:

- استمرار ضعف المؤسسية القضائية والرقابية.
- بقاء الفساد "المحمي تاريخيًا" دون محاسبة حقيقية.
- توسّع الفجوة المعيشية بين القاعدة الشعبية والنخب.
- تحوّل النقمة من المسؤولين إلى حالة تململ صامت داخل الحاضنة.
- تآكل الثقة التدريجي بمؤسسات الدولة لا بالمشروع فكريًا.

الخطر هنا ليس الانهيار المفاجئ، بل **الإنهاك البطيء** : مشروع منتصر خارجيًا، لكنه مستنزَف داخليًا، يستهلك رصيده الأخلاقي دون تعويض.

مآلات هذا السيناريو

- ضعف الاستجابة الشعبية التلقائية بمرور الوقت.
- تحوّل الهوية الإيمانية عند بعض الفئات إلى "شعار تعبوي" لا معيار سلوك.
- ازدياد النزاعات الاجتماعية وأخذ الحقوق باليد.
- قابلية أعلى للاختراق الناعم (إعلاميًا ونفسيًا).

كيف يُعالج هذا السيناريو؟

- لا يُعالج بخطاب تعبوي إضافي، بل بـ **صدمة عدالة**:
  - ملفات محاسبة واضحة لكبار الفاسدين.
  - قضاء عاجل وعلني في قضايا تمس الضعفاء.
  - تقليص الامتيازات غير المبررة للنخب.
- إعلان صريح بأن **الفساد الداخلي أخطر من العدوان الخارجي** في هذه المرحلة.

السيناريو الثاني :سيناريو التكيّف الهش (السيناريو الوسطي)

في هذا المسار، يدرك المشروع وجود المشكلات، فيُجري إصلاحات جزئية وانتقائية:

- تغييرات إدارية محدودة.
- معالجة بعض ملفات الفساد الصغيرة.
- تحسينات معيشية ظرفية لكن دون مساس بالبنية العميقة لمراكز النفوذ أو آليات المحاسبة.

النتيجة:احتواء الأزمات لا حلّها، وتأجيل الانفجار لا منعه.

مآلات هذا السيناريو

- بقاء المشروع مستقرًا نسبيًا إلى حين من الوقت.
- استمرار الشعبية العامة للقائد.
- لكن مع تراكم "أسئلة صامتة" في وعي المجتمع.
- خطر التحوّل لاحقًا إلى السيناريو الأول إن اشتد الضغط الاقتصادي أو طال أمد الحرب.

كيف يُحوَّل إلى فرصة؟

- الانتقال من **إصلاح الأشخاص** إلى **إصلاح القواعد**:
  - تكون هناك معايير واضحة للتعيين.
  - ربط المنصب بالإنجاز لا بالتاريخ.
- المساواة بين خطاب "الصمود" وخطاب "الإنصاف"، واعتبار الإنصاف مسألة أمن قومي، تشبه مواجهة الاحتلال الخارجي.
- إصلاح وتفعيل مؤسسات الرقابة الحكومية وإشراك القاعدة الاجتماعية في الرقابة والتقييم.

السيناريو الثالث :سيناريو إعادة التأسيس الداخلي (السيناريو الإيجابي الواقعي)

في هذا السيناريو، يتعامل المشروع مع التحديات الداخلية باعتبارها **معركة المرحلة**، لا ملفًا ثانويًا، فيحدث تحوّل نوعي:

- تحويل قوة المشروع المعنوية والسيادية وإنجازاته المتعددة إلى قوة مؤسسية تفرض الحق والإنصاف والعدالة.
- إعادة تعريف العلاقة بين المشروع والدولة:المشروع هو المرجعية القيمية، والدولة هي الأداة المنضبطة بالقانون.
- كسر الحصانة غير المعلنة عن بعض القيادات مهما كان رصيدها.

ملامح هذا السيناريو

١. **تقوية مؤسسات الدولة وعدالة فاعلة لا انتقائية**
   - تولية الكوادر المؤهلة والكفوءة، وسرعة تبديل الفاسدين والفاشلين.
   - مسارات قضائية عاجلة.
   - محاسبة رمزية لكبار الفاسدين تعيد الثقة في مؤسسات الدولة.

٢. **تفكيك مراكز النفوذ الناعمة**
   - إنهاء الشللية وتنابز الانتماء.
   - توحيد القرار والمسؤولية.

٣. **سياسة معيشية عادلة**
   - شبكات أمان اجتماعي موجهة للفئات الأشد فقرًا.
   - ربط الدعم بالعمل والإنتاج.

٤. **إعادة الاعتبار للقاعدة الجماهيرية**
   - القاعدة ليست عبئًا ولا زبونًا، بل شريكًا في البناء.
   - تمكين اقتصادي محلي (زراعة، تعاونيات، مشاريع صغيرة).

مآلات هذا السيناريو

- تجدد الثقة الشعبية.
- مساواة المشروع بين "الصمود في وجه العدو الخارجي" و "التمكين الداخلي".
- تحوّل الهوية الإيمانية إلى معيار سلوك إداري وقانوني.
- تقليص قابلية الاختراق الداخلي والخارجي معًا.

السيناريو الرابع :سيناريو التحوّل النموذجي (السيناريو الطموح بعيد المدى)

وهو امتداد للسيناريو الثالث إذا نجح واستمر، حيث يتحول المشروع القرآني في اليمن إلى **نموذج دولة مقاومة عادلة**، لا مجرد حركة صامدة:

- دولة تجمع بين السيادة والعدالة.

- مشروع قرآني يتحول إلى منهج حكم.
- تجربة تُدرَس لا تُستهلك.
- تحقيق وإنجاز دولة حق وعدل وإنصاف تستمر عقودا وقرونا.

شروط تحقق هذا السيناريو

- استمرارية الإصلاح الداخلي وعدم التراجع أمام مراكز الضغط.
- إنتاج خطاب سياسي–قانوني عالمي يربط المقاومة بالقيم الإنسانية.
- بناء دولة قوية عادلة، والعمل على تثبيت هيبة ووظائف وممارسات الدولة القوية والعادلة من خلال التوعية بذلك واتخاذ القرارات وفعل الممارسات التي تعطي الجماهير الثقة بذلك أيضا.
- التثقيف المستمر بأهمية الولاء للدولة بوصفها المظلة الآمنة للاستمرار والثبات والعدالة.
- سرعة معالجة الملفات القاضمة للرصيد التاريخي للمشروع.

أخيرا: الخاتمة

أولا: أبرز النتائج

يخلص هذا البحث، من خلال تتبّع مسار المشروع القرآني في اليمن وتحليل إنجازاته وتحولاته، إلى جملةٍ من النتائج التي تُبرز طبيعته بوصفه مشروعًا قرآنيًا تحويليًا، اشتغل على الوعي والإنسان والموقف قبل الأدوات والنتائج، وأسهم في إحداث تغييرات عميقة في بنية المجتمع والقرار والسيادة، رغم التحديات المركّبة والاستهداف الشامل. ويمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

١-أثبت المشروع القرآني قدرته على تحويل القرآن الكريم من مرجعية تعبّدية ساكنة إلى منهجٍ عمليٍّ فاعل في تشخيص الواقع وتحديد الموقف وصناعة القرار.

٢-نجح المشروع في إعادة بناء الوعي العام على أساس قرآني ناقد، أعاد تعريف العدو، وكشف طبيعة الصراع، وحرّر الإدراك الجمعي من التضليل والانهزام النفسي.

٣-أسهمت التربية القرآنية الإيمانية في صناعة إنسانٍ مسؤولٍ ومنضبطٍ أخلاقيًا، قادر على الصمود وتحمل التكاليف، ما شكّل قاعدة صلبة لاستمرار المشروع.

٤-تمكّن المشروع من الانتقال من إطارٍ ثقافي محدود إلى حالة شعبية جماهيرية واسعة، جعلت منه تيارًا اجتماعيًا متجذّرًا لا نخبةً معزولة.

٥-حقّق المشروع إنجازًا سياديًا نوعيًا تمثّل في كسر الوصاية الخارجية، واستعادة القرار الوطني المستقل، وربط السيادة بالوعي والكرامة لا بالشعارات السياسية المجردة.

٦-أثبتت التجربة أن الالتزام بالقيم القرآنية والأخلاقية لا يتعارض مع الفاعلية السياسية والعسكرية، بل يُشكّل مصدر قوةٍ ومعنًى في إدارة الصراع.

٧-أسهم المشروع في تحويل القضايا الكبرى للأمة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، من شعارات موسمية إلى مواقف عملية وسلوك مجتمعي مستمر.

٨-أظهر المشروع قدرة عالية على التكيّف المرحلي دون التفريط بجوهره القرآني، فانتقل بين مراحل متعددة (دعوية، مقاومة، دولة) مع الحفاظ على وحدة الاتجاه.

٩-شكّل الاعتماد على الذات خيارًا استراتيجيًا عزّز الاستقلالية والصمود في مواجهة الحصار الاقتصادي والعسكري، ومنع الانهيار الشامل.

١٠-دلّت مسيرة المشروع على أن القراءة القرآنية السننية للمآلات منحت التجربة مصداقية زمنية متراكمة، عزّزت الثقة الشعبية، ورفعت الاستعداد لتحمّل كلفة الموقف.

ثانيا: أبرز التوصيات

١-تعزيز مأسسة المشروع القرآني عبر تحويل قيمه ومبادئه إلى سياسات عامة ومعايير أداء واضحة، تضمن استدامة الإنجاز وانتقاله من الوعي إلى البناء المؤسسي.

٢-مواصلة الاستثمار في التربية القرآنية الشاملة بوصفها الرافعة الأساسية لبناء الإنسان القادر على حمل المسؤولية، وصيانة المنجزات، ومواجهة التحديات المستقبلية.

٣-تطوير برامج التمكين الاقتصادي والتكافل الاجتماعي بما يعزّز الاعتماد على الذات، ويُسهم في تقليص الأعباء المعيشية، وربط الصمود بالقيم العملية للإنتاج والعدل.

٤-تعزيز الخطاب الثقافي والإعلامي القائم على القرآن بوصفه خطابًا تحليليًا أخلاقيًا عالميًا، يربط المقاومة بالقيم الإنسانية، ويُوسّع دوائر الفهم والتأييد للمشروع على المستويين الإقليمي والدولي.

٥-الحذر من "تسييل" المشروع القرآني، أي تحويله من منهج قرآني صلب ذي معايير واضحة في الوعي والموقف والمسؤولية، إلى خطاب فضفاض أو أداة توظيف مرحلي أو إداري، والتأكيد على أن الحفاظ على صلابته يقتضي ثبات المرجعية القرآنية، وربط الإيمان بالموقف العملي، ومنع اختزال المشروع في شعارات أو تكييفه وفق المصالح الآنية؛ لما لذلك من أثر حاسم في صون فاعليته التحويلية واستمراريته التاريخية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين